العرب
الخميس 2019/11/28
السنة 42 العدد 11542

انتقادات ترامب وماكرون تحاصر الناتو في عيده السبعين

باريس وواشنطن تشقّان وحدة الحلفاء على ضفتي الأطلسي

ترامب وماكرون يصعدان المواقف تجاه الناتو

يحتفي حلف شمال الأطلسي في مطلع شهر ديسمبر القادم بمرور سبعة عقود على تأسيسه في قمة تعقد بالعاصمة البريطانية لندن، وسط أجواء مشحونة أثارتها سجالات متعددة تبقى على رأسها انتقادات الرئيس الفرنسي إيمانويل ماكرون الذي قال إن "الناتو" في حالة موت سريري، علاوة على المواقف الأميركية التي يقودها الرئيس دونالد ترامب والذي بات الحفاظ على وحدة موقف الحلف لا يشكّل أولوية لديه ضمن خارطة سياساته العسكرية.

بروكسل - يحاول حلف شمال الأطلسي اغتنام مناسبة الاحتفاء بمرور 70 عاما على تأسيسه في الرابع من ديسمبر القادم لتجهيز نفسه لتقديم طلب إلى مجلس الحكماء للمساعدة على إصلاح وضع التحالف الذي تشقه العديد من الخلافات، خاصة بعد تشكيك الرئيس الأميركي دونالد ترامب في أهميته أو بعد انتقادات الرئيس الفرنسي إيمانويل ماكرون الذي أكد أن الحلف يحتضر.

وتستضيف لندن قمة الحلف في الرابع من ديسمبر وسيحاول قادة الدول الـ29 الأعضاء فيها إظهار وحدة الصف، لكنهم يواجهون أسئلة عن مستقبل التحالف الذي تقوده الولايات المتحدة.

ويشعر حلفاء واشنطن في أوروبا وكندا بالحيرة مما قد يطرحه ترامب بعد أن انتقد ألمانيا في قمة الحلف في يوليو 2018 وفكّر في الانسحاب منه، قبل أن يثني عليه وينسب لنفسه الفضل في الإصلاحات الموعودة.

وتأتي هذه المناسبة في الوقت الذي أغضب الرئيس الفرنسي نظراءه في أوروبا بأسلوبه القاطع وغير المتوقع والحاد مثلما فعل عندما "قلب الطاولة" بتصريحاته حول الحلف مجازفاً بأن يبدو معزولاً وغير قادر على تقديم حلول عملية.

وستتاح للرئيس الفرنسي الفرصة لشرح موقفه حول الناتو لدى استقباله الأمين العام للحلف ينس ستولتنبرغ الخميس في الإليزيه، وفي قمة الحلف يومي الثالث والرابع من ديسمبر في لندن.

وفاجأ ماكرون نظراءه بالفعل عدة مرات من خلال تصريحاته الخارجة عن المألوف بشأن خروج بريطانيا من الاتحاد الأوروبي، ومنطقة البلقان – عندما عرقل بدء مفاوضات انضمام شمال مقدونيا إلى الاتحاد الأوروبي – ودعوته إلى التقارب مع روسيا.

ويقول فرنسوا هيسبورغ الخبير لدى مؤسسة الأبحاث الإستراتيجية إن ماكرون "يشبه في جانب ما (نابليون) بونابرت عند جسر أركول، لكنه ليس في أركول ولا يوجد جسر!"، مشيرا بذلك إلى معركة كرّست أسطورة الجنرال الشاب الذي يتقدم بثبات شاهرا سيفه.

وتضيف تارا فارما الباحثة في المجلس الأوروبي للعلاقات الخارجية وهو مركز دراسات في أوروبا "هذه هي طريقة ماكرون، بدلاً من انتظار شركائه يفرض إيقاعه بمبادرات جديدة كل أسبوع تقريبًا".

وقد زرعت كلماته القاسية بشأن الناتو مستنكرًا عدم التنسيق بين الولايات المتحدة وحلفائها، وهجوم تركيا العضو في الحلف على الأكراد السوريين اللاعب الرئيسي في الحرب ضد تنظيم الدولة الإسلامية، الخوف وإن كان الجميع متفقين معه حول الجوهر.

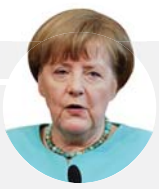

أنجيلا ميركل

يجب اليوم أكثر من أي وقت مضى الحفاظ على حلف شمال الأطلسي

ويقول من جهته، مصدر دبلوماسي فرنسي إن "ما أثار ردود الفعل في أوروبا هو الأسلوب والشكل". ويضيف "لكن الصدمة الكهربائية نجحت" من خلال فرض نقاش حول إستراتيجية الحلف وتعزيز الدفاع الأوروبي.

ويرى فرنسوا هيسبورغ أن القادة الأوروبيين لم يرتاحوا لإدلائه بهذه التصريحات لوسائل إعلام. ويقول إنه تصرّف "فظ إلى حد كبير ويكفي لإثارة العداء على الفور".

ومنذ ذلك الحين نفّس ماكرون عن شعوره بالإحباط مما يقول دبلوماسيون فرنسيون إنه غياب التنسيق في الحلف على مستوى سياسي والتقاعس عن تناول موضوعات محظور الخوض فيها. وقد وصف ماكرون الحلف بأنه في حالة "موت إكلينيكي".

وجاءت تصريحاته في أعقاب قرار سحب القوات الأميركية من سوريا الذي دفع تركيا لشن هجوم على وحدات حماية الشعب الكردية في شمال سوريا. وتعتبر تركيا مقاتلي وحدات حماية الشعب إرهابيين رغم أنهم ساعدوا واشنطن في هزيمة تنظيم الدولة الإسلامية. ويخشى حلفاء أنقرة في حلف شمال الأطلسي من أن يضعف الهجوم الحرب على مقاتلي الدولة الإسلامية.

ورجّح دبلوماسيون أن تتبنّى القمة اقتراحا فرنسيًا ألمانيًا لتشكيل مجموعة من الشخصيات المرموقة تحت إشراف الأمين العام للحلف ينس ستولتنبرغ، وذلك لمعالجة المخاوف بشأن مستقبل الحلف.

وسيقدّم "الحكماء" تقريرهم في أواخر 2021 عندما يحين موعد عقد قمة الحلف التالية بما يهيئ السبيل لتطبيق إصلاحات.

وقال دبلوماسي فرنسي رفيع يشارك في المناقشات "نحاول توجيه الصدمة الكهربائية المولّدة (بتصريحات ماكرون) لإنشاء حوار سياسي".

وأضاف أن الهدف هو "إعادة التوازن للتحالف عبر الأطلسي" مع اعتراف أوروبا بأن واشنطن تتحمّل مسؤولية أكبر مما يجب.

وعلى الأرجح ستكون المجموعة صغيرة تجمع بين سياسيين كبار وغيرهم ممن يمكنهم طرح أفكار أقدر على التغيير الجذري.

من جهتها، دافعت المستشارة الألمانية أنجيلا ميركل عن الحلف بقولها الأربعاء ردا على انتقادات ماكرون "يجب اليوم أكثر من أي وقت مضى الحفاظ على حلف شمال الأطلسي".

وقالت ميركل أمام مجلس النواب "من مصلحتنا الحفاظ على حلف شمال الأطلسي اليوم أكثر من أثناء الحرب الباردة".

ووعدت بأن تحقق ألمانيا "في بداية عقد 2030" هدف الحلف الأطلسي بتخصيص 2 بالمئة من إجمالي ناتجها الداخلي للإنفاق العسكري.

ودعت المستشارة الألمانية ميركل إلى زيادة توريد العتاد الأمني إلى الدول الأفريقية، قائلة في البرلمان إنه لا يمكن اقتصار تدريب القوات المسلحة على مكافحة الإرهاب على سبيل المثال، بل يتعيّن توريد العتاد اللازم لذلك، وأضافت "إذا كنّا نريد تدعيم الأمن والسلام في أفريقيا، أعتقد أنه لا يمكننا أن نرفض تماما (توريد) العتاد".

يذكر أن الجيش الألماني يدرب منذ سنوات عديدة القوات المسلحة في مالي. وكانت أجزاء كبيرة من الدولة الواقعة غربي أفريقيا سقطت قبل أعوام في قبضة ميليشيات إسلامية، وتكافح حتى اليوم ضد الإرهاب.

وقبل أسبوع من قمة الحلف في لندن، دافعت ميركل بشدة أمام النواب عن الحلف الذي تأسس في 1949 واعتبر ماكرون أنه في حالة "موت دماغي".

وقالت إن الحلف شكّل "سدا في وجه الحرب" ضمن "الحرية والسلام" منذ سبعين عاما وجزئيا بفضل "أصدقائنا الأميركيين".

وأشارت إلى دور الحلف في إحلال الاستقرار أيضا منذ انتهاء الحرب الباردة، في منطقة البلقان أو في أفغانستان.

وفي لفتة موجهة إلى ترامب، من المتوقع أن يتم الاتفاق في القمة على تحمل حلفاء الولايات المتحدة حصة أكبر من تكاليف إدارة الحلف وتقليل حصة واشنطن من التمويل السنوي المخصص لمقر الحلف والعاملين فيه بدءا من 2021.

ومن المنتظر أن يوافق القادة على مطلب أميركي بأن يخصص الحلفاء الأوروبيون المزيد من الكتائب والسفن والطائرات لحلف شمال الأطلسي لتكون جاهزة للقتال كقوة ردع في مواجهة أي هجوم محتمل من روسيا.

وقال دبلوماسي أوروبي كبير في الحلف "لا أحد يعرف بالطبع ما سيقوله ترامب. لكننا لا نعرف الآن ما سيقوله أيضا ماكرون أو (الرئيس التركي رجب طيب) أردوغان".

وستكون القمة قصيرة على غير العادة إذ تستغرق يوما واحدا وتعقد في ناد فاخر للغولف وذلك لتضييق المجال أمام الخلافات الدبلوماسية، رغم أن بريطانيا تحرص على استضافة القمة في الوقت الذي تتأهب فيه للخروج من الاتحاد الأوروبي.

كان الحلف قد تأسس في العام 1949 للتصدي لخطر الاتحاد السوفييتي الشيوعي، لكن أهميته تجددت بعد أن ضمت روسيا شبه جزيرة القرم إليها في 2014.

ويتعرض الحلف الآن لضغوط للمساهمة في حل بعض من أعقد الأزمات العالمية، وقد دفعته واشنطن لبحث موقفه من الصين التي تمثّل قوة عسكرية متنامية.

وقال ضابط الجيش النرويجي اللفتنانت كولونيل ستين جرونجستاد خلال تدريب جنود نرويجيين سيتولون تدريب قوات حكومية محلية في العراق تحت علم الحلف "الضغوط على النظام كبيرة".

وأضاف "من الصعب على الجيش أن ينفذ دفاعا إقليميا وتدريبا وعمليات دولية في آن واحد".

وهذه مسألة حساسة لألمانيا التي تعدّ أكبر اقتصاد في أوروبا لكنها تعاني من قدم الأسلحة ولا تستهدف تحقيق الحد الأدنى المستهدف لإنفاق الدول الأعضاء في الحلف حتى عام 2031.

وقال مصدر دفاعي ألماني "لكن السؤال لا يزال هو ما إذا كان الساسة مستعدين لحجم الإنفاق الكبير".

تتالي الصدمات يضاعف التشكيك في عملية برخان الفرنسية

باريس - أصيبت فرنسا بصدمة كبرى جرّاء مقتل 13 جنديًا فرنسيا، الاثنين، في حادث طائرة هليكوبتر في مالي. وأسالت الفاجعة حبرا يزيد من حدة التشكيك في عملية "برخان" العسكرية في منطقة الساحل الأفريقي. وأشعلت الحادثة أسئلة حول الأهداف التي تسعى فرنسا إلى تحقيقها، وحول طبيعة الاستراتيجية المتبعة للوصول إليها.

وتضم حملة برخان لمكافحة الجهاديين نحو 4500 عسكري في خمس دول في منطقة الساحل (مالي، النيجر، بوركينا فاسو، تشاد وموريتانيا). وتركّز جهودها في منطقة ليبتاكو غورما في شمال-شرق مالي.

ولا تزال مناطق كاملة في مالي خارج سيطرة القوات المالية والفرنسية وتلك التابعة إلى الأمم المتحدة، التي يجري استهدافها دورياً بهجمات دموية رغم التوصل إلى اتفاق سلام مع المتمردين السابقين وغالبيتهم من الطوارق في الشمال، يفترض أن يؤدي إلى عزل الجهاديين بشكل كامل.

وتقول مصادر مراقبة للشؤون الأفريقية إنه إذا كان هدف "الاستقرار السياسي والاقتصادي" في تلك المنطقة، وفق ما قدمه رئيس الوزراء الفرنسي، إدوارد فيليب، غير قابل للنقاش، فإنه بات من الواضح أن وجود 4500 جندي لم يسمح بالوصول إلى هذا الهدف. وتضيف أنه صحيح أن الجماعات الجهادية لم تستول على السلطة في باماكو، لكنها انتشرت في المناطق الفرعية المجاورة، من النيجر إلى بوركينا فاسو، إلى حدود الكوت ديفوار، في قلب أفريقيا الناطقة بالفرنسية، وأن آلافا من المدنيين كما جنود أفارقة سقطوا ضحايا هجمات الإرهاب والعمليات المضادة.

منذ ما يقرب من سبع سنوات وتحديدا في يناير 2013، قام فرانسوا هولاند بمبادرة إرسال جنود فرنسيين لمنع الجماعات الإسلامية العاملة في شمال مالي من السيطرة على البلاد. أحدث الأمر لاحقا هتافات غير متوقعة من حشود الناس مرحبة في باماكو بجيش القوة الاستعمارية السابقة والتصفيق لها، ناهيك عن ترحيب الزعماء الأفارقة.

وتلفت مصادر أفريقية مراقبة أن هؤلاء الزعماء لم يستطيعوا قبل ذلك طرد الجهاديين المتحدرين من جماعات الجهاد في الجزائر، والذين باتوا محاصرين في صحراء شمال مالي. حظي هذا التدخل الخارجي بدعم سياسي واسع. ثم بدا الانتصار كاملاً، سواء بالنسبة للجيش الفرنسي أو للسلطة التنفيذية في باريس.

وتضيف المصادر نفسها أنه في مواجهة الحكومات الأفريقية التي اهتزت بفضائح الفساد، وغير القادرة على تلبية الحد الأدنى من احتياجات السكان، والعاجزة عن توفير الأمن في التصدي لميليشيات وجيوش مرتجلة، استطاع خطاب الجهاديين الطهراني أن يجد صدى حقيقي بين السكان المهمشين.

ويخلص المراقبون إلى أن هذا الوضع أتاح للإسلاميين المسلحين أن يتجذّروا في منطقة الساحل الأفريقي، مستغلين الخصومات القديمة، بما في ذلك بين المزارعين والقساوسة، لتحويلها إلى كراهية وفرصة للانتقام.

وكان رئيس هيئة أركان الجيوش الفرنسية الجنرال فرنسوا لوكوينتر قد اعتبر أن دول الساحل في أفريقيا كانت ستنهار وكان الإرهاب سيصبح خارج السيطرة لولا عملية برخان التي تقودها بلاده في المنطقة.

وأعلن أنه "لو لم نكن هنا ولو رحلنا غدا ولو لم نتحرك مع الأوروبيين الذين يديرون معنا هذه الأزمة الخطيرة جدا، لانهارت هذه الدول على نفسها ولنما الإرهاب من دون قيود، وكان يمكن وصوله إلى فرنسا وأوروبا وإظهار نفسه هناك، وكنّا سنعرف ظواهر هجرة هائلة".

وترى مصادر دبلوماسية فرنسية أن التدهور الأمني، على الرغم من وجود الآلاف من الجنود الأجانب، وعدم إيفاء المجتمع الدولي بتمويلات كان قد وعد بها، وعجز الدول الأفريقية على بسط سلطتها على كامل أراضيها، وفّر مساحة لتنامي رأي عام محلي ضد الجهد الفرنسي في المنطقة.

وامتدت الهجمات في السنوات الأخيرة إلى وسط مالي وجنوبها وأيضاً إلى بوركينا فاسو والنيجر المحاذيتين.

وقال الجنرال لوكوينتر إنّ "مساحة المنطقة التي نبذل جهوداً فيها، ليبتاكو غورما، توازي مساحة ربع فرنسا".

وأوضح أنّه "ليس بإمكان فرنسا، حل مشكلة تمتد فوق مساحة شاسعة، وترتبط بأناس ينتشرون بين السكان، ويرهبونهم". وأضاف "علاوة على ذلك، المشكلة أوسع من كونها مشكلة عسكرية. إنّها مشكلة بنيوية، تشتمل على قضايا التنمية والحوكمة، وتفاقمت نتيجة التوترات بين الإثنيات ونتيجة الجفاف الذي يعصف بالساحل".

وتعتبر أوساط سياسية في باريس أن الانتصار الوحيد المحتمل هو إعادة بناء الدول التي تواجه هذه القلاقل، مثل مالي وبوركينا فاسو. وتضيف أن هذه الدول تعاني من انهيار مواردها المالية، ومن ارتباك في إرساء الديمقراطية، مقابل رواج خصومات الطوائف، ناهيك عن انتشار الأسلحة الواردة من ليبيا منذ انهيار نظام معمر القذافي.

وتضيف الأوساط أن ظاهرة الاحتباس الحراري قلّصت مساحات الأراضي الصالحة للزراعة، وبالتالي زاد هذا الأمر من حدة التوترات.

مقتل 13 جنديا فرنسيا في حادث طائرة هيلكوبتر في مالي يثير أسئلة حول مدى فاعلية عملية برخان في الساحل الأفريقي

وتقف فرنسا أمام حقيقة أنه لا يمكن تحقيق الاستقرار دون عودة الأمن. لكن الجنود الفرنسيين وحدهم لا يستطيعون استعادته. ليس فقط لأنهم يمثلون المستعمر السابق في نظر الناس، بل لأنهم لا يستطيعون التعويض إلى ما لا نهاية عن الغياب الفعلي للدول الأفريقية.

وتقول مصادر برلمانية فرنسية معنية بالشؤون الأفريقية إنه يجب على الاتحاد الأوروبي، الذي يتعرّض أمنه للخطر، أن يكون أكثر انخراطا مع فرنسا في هذه المهمة، ليس فقط من الناحية العسكرية، بل أيضًا لممارسة ضغوط أوروبية جماعية ضد الفساد والحكم السيء.

وتضيف المصادر أنه لا يمكن تحقيق الأمن في هذه المنطقة دون دول المنطقة أنفسها، وأنه يتعيّن على فرنسا والأوروبيين دعم جهود أولئك السياسيين المنخرطين بإخلاص وفاعلية للتصدّي لآفات المنطقة والاهتمام بشؤون سكانها.

وترى مراجع سياسية في باريس أن مقتل الجنود الفرنسيين الـ13، يزوّد الرئيس الفرنسي إيمانويل ماكرون بفرصة دراماتيكية لإعادة فتح النقاش حول سياسة باريس في منطقة الساحل الأفريقي، وأن يعيد تفسير أهداف المهمة الفرنسية هناك للفرنسيين ولسكان منطقة الساحل الأفريقي.

وتدعو هذه المراجع إلى توضيح الخطط الفرنسية لجميع المنخرطين في الجهد الفرنسي، من موظفين وعسكريين ودبلوماسيين واقتصاديين، وأن يوضح أيضا المخاطر المترتبة بعد 7 سنوات من التدخل الفرنسي هناك. ويخلُص هؤلاء أن الأمر بات يحتاج إلى وعي جديد يجنّب وقوع فرنسا في فخ حرب لا تنتهي.